

إثبات الميزان

وتوضع الموازين لوزن أعمال العباد: { فَمَنْ تَعْلَمَ مَوَازِينُهُ فَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ فَأَوْلَئِكَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَفْسَهُمْ بِمَا كَانُوا يَأْتِيُنَا يَظْلِمُونَ } . ذكر الله - تعالى - الموازين والميزان في عدة آيات؛ في سورة الأعراف { وَالْوَرْنُ يَوْمَئِذٍ الْحُقُّ فَمَنْ تَقْلِبْ مَوَازِينُهُ فَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ فَأَوْلَئِكَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَفْسَهُمْ } . وفي سورة الأنبياء { وَنَصَّعُ الْمَوَازِينَ الْقِيَامَةَ قَلَّا نُظُلُمُ نَفْسًا شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِنْ قَالَ حَتَّىٰ مِنْ خَرْدَلٍ أَثْنَا بِهَا } وفي آخر سورة "قد أفلح المؤمنون" ، وفي سورة القارعة، وجاء أيضاً ذلك كثير من الأحاديث، مثل قوله - صلى الله عليه وسلم - { والحمد لله تملأ الميزان } وغيره من الأحاديث وختم البخاري كتابه بباب "ما جاء في إثبات الميزان" ، واستدل بقوله - صلى الله عليه وسلم - { كلمتان خفيتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيتان إلى الرحمن؛ سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم } فيه إثبات الميزان، ثقيلتان في الميزان؛ فدل ذلك على إثبات الميزان، واختلف ما هو الموزون؟ الميزان ماذا يوضع فيه؟ على ثلاثة أقوال:- القول الأول: أن الذي يوزن هو العامل نفسه، أنه يوزن، واستدل بقوله - تعالى - عن الكفار: { قَلَّا نُؤْتِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرُبَّا } يعني: أنهم يوزنون؛ ولكن يخفون، وجاء في الحديث { إنه ليؤتي بالرجل السمين الأكول الشروب لا يزن عند الله جناح بعوضة } وفي حديث ابن مسعود لما رقى على شجرة ليقطع منها سواها؛ عجبوا لدقه ساقيه، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - { إنهم في الميزان أثقل من جبل أحد } يعني: أن الإنسان يوضع في الميزان ويُثقل أو يخف بحسب عمله. القول الثاني: أن الذي يوزن هو صحائف الأعمال، التي كتب فيها الحسنات والسيئات، أنها توزن، ومع ذلك تخف وتُثقل بحسب ما فيها من حسنات أو سيئات، ويستدل على ذلك بحديث البطاقة، ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - { أنه ينشر لرجل تسعة وتسعون سجلاً فيها سيئاته، ثم يخرج له بطاقة مكتوب فيها "لا إله إلا الله محمد رسول الله"؛ فتوضع السجلات في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة }؛ وذلك لأنه ختم له بهذه الخاتمة الحسنة، تلفظ في آخر حياته بهذه الشهادة، وجاء في الحديث { من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة } وجاء أيضاً في حديث ثقل كلمة "لا إله إلا الله" في قوله - تعالى - في الحديث القدسي: { لو أن السماوات السبع وعمرهن غيري والأرضين السبع وضعت في كفة، ولا إله إلا الله في كفة؛ مالت بهن لا إله إلا الله } يعني: إذا صدرت من قلب صاف، إذا صدرت عن يقين؛ فإنها تُثقل بالسيئات كلها، أما إذا كان يقولها ولكن لا يعمل بها؛ فإنها تخف. فإن موازينه تخف. القول الثالث: أن الذي يوضع هو الأعمال وأنها تجسد؛ الأفعال تجسد ولو كانت أعراضاً؛ بمعنى: أن الصلاة مالها جرم؛ ولكن يجعل الله لها جرم، وكذلك الكلمات مالها جرم، ولكن يجعل لها جراماً، ولذلك جاء في الحديث { والحمد لله تملأ الميزان، سبحان الله، والحمد لله هل لها جرم؟ الله يجعل لها جراماً، ولذلك جاء في الحديث } والحمد لله تملأ الكلمات السيئة؛ يكون لها أيضاً جرم فتوزن، كلمات العين والقلب والسمع واللعن والسخرية والاستهزاء والكفر واللسان يجعل الله - تعالى - لها أجراماً فتوضع في الميزان فتشغل أو تخف؛ فعلى هذا لا مانع من أن الجميع توزن، يعني: أن الصحائف التي فيها الكتاب توزن، وأن الأفعال تجسد وتوزن، وأن العامل نفسه يوزن، يقول تعالى: { قَاتَمَا مَنْ أَوْتَيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا وَأَمَّا مَنْ أَوْتَيَ كِتَابَهُ وَرَأَهُ طَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُهُ تُبُورًا وَيَصْلَى سَعِيرًا }